

## — عمارة الفقيه وعبد الملك بن مروان \*

قالُ عمارة الفقيه :

كنتُ أجالسُ عبدَ الملكِ بنِ مروان<sup>(١)</sup> كثيراً في ظلِّ الكعبة ، فبينما أنا معه إذ قال لي : يا عمارة ، إن تَعِشْ قليلاً فستَرَى الأعتاقَ إلى مائةٍ ، والآمالَ نحوى ساميةً ، وإذا كان ذلك فلا عليكَ أنْ تجعلني لرجائك باباً ولأمكِ ذريعة<sup>(٢)</sup> ، فوالله إن فعلتَ لأملأنَّ يديك غبطةً ، ولأكسوَنَّك نعمةً سابقةً .

ثم إن عبدَ الملكِ سارَ إلى دمشق ، وصارت إليه الخلافة ، فخرجتُ إليه زائراً ، واستأذنتُ فأذنَ لي ، ودخلتُ فسلمتُ عليه ، فلما انقضى سلامي ، قال : مرحباً بأخي ؛ ونادى أحدَ غلمانه ، فقال : بؤنة<sup>(٣)</sup> داراً ، وأحسنِ مهاده ، ونزّهه ، وآثره على خاصتي .

فقبل ، وأقتُ عنده عشرين ليلةً أحضرتُ غداه وعشاءه ؛ فلما أردتُ الانصرافَ والأوبةَ إلى أهلي أمرَ لي بعشرين ألفَ دينار ومائتي ألفَ درهم ، ومائة ناقةٍ برقيقها وكسوتهم ، وقال لي : أتراني يا عمارة ملأتُ يديك غبطةً ؟

قلتُ : يا سبحان الله ، يا أمير المؤمنين ؛ وإنك لذا كير لذلك ؟ قال : نعم ! والله لا خيرَ فيمن ينسى ما وعدَ به ويذكر ما أوعد<sup>(٤)</sup> . كم لهذا الأمرِ يا عمارة ؟

\* غرر الحقائق : ١٥٨ .

(١) من أعظم الخلفاء ودهاتهم ، نشأ في المدينة واستعمله معاوية عليها ، وانتقلت إليه الخلافة سنة ٦٥ هـ ، وتوفي بدمشق سنة ٨٦ . (٢) سبياً . (٣) يؤتمه : أنزله . (٤) الوعد في الخير والإيصاد في الشر .

قلت : والله لكانه بالأمس ، وله دهرٌ يا أمير المؤمنين ! قال : فوالله ما كان ذلك  
عن خيرٍ سمعناه ، ولا حديثٍ كتبناه ، ولا أثرٍ روينا ؛ غير أنى عقلتُ في الحدائثِ  
أشياء رجوتُ أن يرفعَ اللهُ بها درجتي ، وينشرَ بها ذكري .  
قلت : وما هي يا أمير المؤمنين ؟ قال : كنت لا أشاري ، ولا أماري<sup>(١)</sup> ،  
ولا أهتك سترَ الله دُوني ، ولا أرتكبُ محرماً حظه الله عليّ ، ولا  
حسدتُ ، ولا بغيتُ ؛ وكنتُ من قومي واسطة القلادة ، وكنتُ أكرمُ جابسي  
وإن كان ذمياً ، وأرفعُ قدرِ الأديب ، وأكرمُ ذا الثقة ، وأداري السفية ،  
وأرحمُ الضعيف ، فبذلك رفعَ اللهُ قدري . يا عماره ، خذْ أهبةَ السفر ، وامض  
راشداً .

---

(١) المشارة : الملاحة ، أولاً يشارره من الشره فقلبت لإحدى الرايين ياء ، المهاراة : المحاصمة  
في الشيء ليس فيه نعمة . أو لا يماري : أي لا يدفع ذا الحق عن حقه .